هذه سبيلي ...

لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا

بسم الله الرحمن الرحيم

العنوان : هذه سبيلي
لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا
تأليف : الدكتور مازن المبارك
عدد الصفحات : ٦٤ صفحة
قياس الصفحة : ١٢ × ٢٠سم
عدد النسخ : ١٠٠٠ نسخة
التنضيد والإخراج : زياد ديب السروجي

الكتب والدراسات التي تصدرها الدار لا تعني بالضرورة تَبَنّي الأفكار الواردة فيها ؛ وهي تُعَبِّر عن آراء واجتهادات

حُقُوقُ الطَّبْعِ مَحْفُوظَةٌ

يمنع طبع هذا الكتاب أو جزء منه بكل طرق الطبع والتصوير والنقل والترجمة والتسجيل المرئي والمسموع والحاسوبي وغيرها من الحقوق إلا بإذن خطي من:

دَارُ البَشَائِر
للطباعة والنشر والتوزيع
دمشق ـ شارع ٢٩ أيار ـ جادة كرجية حداد
هاتف : ٢٣١٦٦٦٨ ـ ٢٣١٦٦٦٩
ص. ب ٤٩٢٦ سورية ـ فاكس ٢٣١٦١٩٦
الموقع : www.daralbashaer.com
البريد الألكتروني: info@daralbashaer.com

الطبعة الأولى
١٤٢٨ هـ = ٢٠٠٧م

هذه سبيلي ...

لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا

الدكتور مازن المبارك

دار البشائر

مقدمة

الحمد لله خالق الخَلق ، أنزل الكتاب بالحق ، وبعث عبده محمداً ـ ﷺ ـ خاتماً للنبيّين وإماماً للمرسلين ، بشيراً ونذيراً للعالَمين ، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً .

بالقرآن خُتمت الكتب والرسالات ، وبمحمد ـ ﷺ ـ خُتم الأنبياء والمرسلون ؛ ما كان لأحدٍ من بعدُ أن يزيد في الشرع أو يَنْقُصَ ، ولا أن يبدّل أو يعدّل ، فلقد أكمل الله الدين وأتمّ النعمة « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم بالإسلام ديناً » .

والحمد لله ربّ العالمين أن أنزل كتابه على قلب رسوله الأمين ليكون من المنذرين بلسان عربيّ مبين .

وبعد ، فلقد كثر الحديث والمتحدثون في هذه الأيام عن أمور شرعية واجتماعية تتّصل بما يُسمَّى وحدةَ الأديان ، ووحدة الثقافات ووحدة التربية وتعلن أن العالم عائلة واحدة ! وتتخذ من شعار « العالم قرية

صغيرة » وسيلة إلى الحديث عن التأثر والتأثير بين أحياء تلك القرية وكأن قصر المسافات بين القرى والأحياء والبيوت يفرض سياسة واحدة لتربية الأطفال وبناء الأُسَر وعلاقات الناس بعضهم ببعض ، أياً كانت معتقداتهم ومنازعهم وعاداتهم وتقاليدهم والقيم التي يؤمنون بها . إنهم يريدون إلغاء الفوارق بين الأجناس لتعميم تلك المشكلات الاجتماعية بغية تعميم علاجها حتى في البلاد التي لا أثر فيها لتلك المشكلات . إنهم كثيراً ما يستوردون تلك المشكلات ويضخمونها إعلامياً ليفرضوا لها علاجاً واحداً ويسنّوون لتسويقها القوانين الموحَّدة ! وكل ذلك أمر يجب التوقف عنده والتأنّي في النظر إليه .

ولا شك أن جرأة الاقتحام في هذه الموضوعات غير محمودة العواقب وغير مأمونة النتائج . وحين يكون الموضوع متصلاً بعقيدة الأمة وشريعتها أو يكون متصلاً بخصوصيّة الأمة وبما لا تكون الأمة أمةً إلاّ به فلا بدّ من إغلاق باب التنازلات وتجنّب التزلّف والمجاملات مهما يسلك الداعون إليه من سبل المكر والدهاء وتزيين نتائجه ودعم السالكين فيه والداعين إليه بالأموال

والمناصب ، فالدين دين الله ، وهو سبحانه القائل لنبيّه - وهو من هو - : « ليس لك مِنَ الأمر شيء » وحذّره من الركون إلى المشركين ولو كان ركوناً قليلاً ، وعدَّ ذلك فتنة عصم الله نبيَّه منها فقال : ﴿وَإِن كَادُوا۟ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ لِتَفْتَرِىَ عَلَيْنَا غَيْرَهُۥ ۖ وَإِذًا لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلًا * وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا * إِذًا لَّأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا﴾ [الإسراء : ٧٣ - ٧٥] .

ونحن نسمع اليوم ما هو أكثر من الركون القليل ، ونسمع وحدةً دينيّة ما أنزل الله بها من سلطان ، ونسمع من يستشهد في كل مناسبة بما يناسبها من آيات ويسكت عمّا لا يناسب المقام ! وكأن الدين دينه يفصّل من آياته ما يشاء ويُجمل .

وأنا في هذه الأحاديث التي أقدّمها اليوم أسأل الله الهداية للجميع والحكمة في كل مقال ومقام ، ولا آتي فيها بشيء من عندي ، ولكني أشرح ما أفهمه من كتاب الله وسنّة نبيّه ﷺ على وفق ما يفهم العربيّ من الكلام العربيّ المبين ، بلا تأويل ولا تعسّف ولا تكلّف ، ودون أن أكتم شيئاً أمر الله بتبيانه للناس وأخذ على

العلماء ميثاقاً بإعلانه وإبلاغه ، ودون أن ألوي أعناق النصوص لتلائم رغبات الأهواء وشهوات النفوس ، جاعلاً هواي مع شرع ربِّي ومقصدي رضاه ، لا أبغي مسايرة تيّار ولا مجاملة بشر ولا زلفى أتقرّب بها إلى أحدٍ غيرِ الواحد الأحد .

وإني لآمل أن تكون هذه الأحاديث منبهة للذين يخوضون فيها وفي أمثالها وتستغرقهم شهوة الكلام في المناسبات وحماسة اللقاءات وحبُّ التميّز والمزايدات إلى أن الإنسان ﴿ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ [ق : ١٨] وأن الله سبحانه وتعالى حذّرنا نفسَه ﴿ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ﴾ [آل عمران : ٢٨] وأنه حذّرنا من الخروج عن أمره فقال : ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [النور : ٦٣] والمخالفة ليست دوماً مخالفة تضادّ ، ولا أن يذهب مخالفي عكس ما أذهب ، ولكنها قد تكون في مجرّد التغيير ؛ كأن آخذ أنا طريقاً ويأخذ مخالفي غيره ولو كان في الاتجاه نفسه . والمعروف أن فعل (خالف) يتعدّى بنفسه ولكنه جاء في كتاب الله متعدّياً بحرف الجرّ (عن) إشعاراً بأن المخالفة هنا عن أمر الله ، تعني الخروج عنه ، فإذا كان

الركون القليل يعاقب عليه بضعف الحياة وضعف الممات وبالخذلان من الله سبحانه فكيف يكون عقاب الخروج عمّا أمر الله به من الصدع بالحق والإعلان به .

وقد وضعت لهذه الأحاديث عنواناً واحداً يجمعها هو « هذه سبيلي » مقتبساً من قوله تعالى ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [يوسف : ١٠٨] .

وجعلت أول الأحاديث قوله تعالى ﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾ وأسأله تعالى التوفيق ، عليه توكلت وإليه أنيب ، له الملك وله الحمد وله الخَلق وله الأمر وله الحكم وإليه المصير .

مازن المبارك

﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾

قال ربنا تبارك وتعالى ﴿ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً ﴾ [المائدة : ٤٨] .

وقال سبحانه : ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الجاثية : ١٨] .

وهو خطاب إلهي لكل مسلم ، وإذا كان للنبي ﷺ فالنبي هو القدوة لنا والأسوة الحسنة التي أمرنا باتباعها والاقتداء بها ، والشرعة والشريعة هي ما أمر الله به عباده من الدين ، وما رسم لهم حدوده وبيّن معالمه وطالبهم باتّباعه والسير على هداه ، وواضح أن قوله سبحانه ﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾ يعني أنه ليست شرعة البشر واحدة ، وأن الله عدَّدَ الشرائع ، وجعل لكلٍّ شرعة ، ولو شاء لجعل لهم شرعة واحدة ، ولجعلهم أمة واحدة ، ولكنه ـ عزَّ وجلَّ ـ قدّر أن من البشر من يتبعون أهواءهم فحذّر أهل شريعته منهم لأنهم لا يعلمون ، وطالبنا ألاّ نتبع أهواءهم .

وأول ما ينبغي لفت النظر إليه هنا أن الوحدة فيما يتصل بالعقائد والشرائع والمناهج غير ممكنة ، وأن اختلاف البشر أمماً وأدياناً وشرائع أمرٌ مقدّر ، ولكن هذا الاختلاف لا يمنع الأمم من التعارف والتعاون ومن التنافس في خدمة المجموع : ﴿ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾ [الحجرات : ١٣] . وأما أن تكون الأمم أمةً ، والشعوب شعباً ، والقبائل قبيلةً فلا ، ولا أن تكون الأديان ديناً ولا الشرائع شريعة .

ولا شك أن كل ما قام على اعتقاد نفسي كمبادىء التربية ومناهجها هو كالشريعة والدّين في عدم إمكان توحّده ؛ لأن البشر مختلفون فيه . . . وقد كانوا موحّدين قبل بلوغهم سنّ الاعتقاد ، لأنهم كانوا مولودين على الفطرة و« كلُّ مولودٍ يُولَد على الفطرة حتّى يكون أبواه هما اللذان يُهَوّدَانه أو ينصرانِه أو يمجّسانه » كما أخبرنا رسول الله ﷺ .

وإذا كان ذلك كذلك ـ وهو عند المسلمين كذلك حتماً ، لأنه في قرآنهم ووحي ربهم وهدي نبيّهم ـ فإن المناداة أو التعبير بوحدة العالم ، أو وحدة الأديان ، أو

وحدة المذاهب ، أو وحدة التربية ، أووحدة الثقافة ، أو وحدة ما يتصل بالأسرة (لأنها شركة قائمة أصلاً على وحدة الإيمان لذلك جاز أن يتزوج المسلم بكتابية ولم يجز أن يتزوج بمشركة غير مؤمنة) كلام غير صحيح وغير واقعي ، وهو أقرب إلى الشعارات المدلّسة والدعوات المخادعة . . . وأما إن صدر من مسلم فهو لا يصدر إلا عن جاهل لا يعلم ، أو عالم يحابي ، أو خائن يسعى إلى محو خصائص الأمة وتذويب الأمة في غيرها .

ليس في هذا عنصرية ولا طائفية ولا عصبية مذهبية ، بل هو الحق الذي يعرفه الكثيرون ويخفيه الكثيرون ، وإن المسلم لا يتأثر إذا قال له النصراني أو اليهودي : أنا نصراني أو يهودي ، وكذلك النصراني لا يتأثر إذا قال له المسلم : أنا مسلم . . إن كلاً منهم يعرف الآخر ويعرف أنه حقيقة موجودة كما أنه هو حقيقة موجودة ؛ وكلهم يعرف أن هذه الحقائق إذا سارت في إطار المناهج التي رسمتها لها شرائعها الصحيحة كانت آمنة سالمة مطمئنة ، وأنه لا خطر على إحداها إلا إذا اعتدت على الأخرى أو انتقصتها حقّها أو ظلمتها .

لقد كان المسلمون في غابر أزمانهم في غنىً عن

هذا الكلام ومثله ؛ لأنهم فهموا شريعتهم وتمثّلوا أوامر ربّهم ونواهيه ، وعاشوا دينهم في دنياهم . والمسلمون اليوم تغيّرت بهم الحال ؛ لأنهم تَغَيَّروا في أنفسهم ، واتبعوا مناهج غيرهم ، وخلطوا الحسن بالرديء والصالح بالسيّء ، ولن أعود إلى التاريخ أستنطقه أو أعرضه ولكني ابن هذا العصر أنظر إلى ما فيه : لقد صحا أبناء الأمة في مشرقنا في مفتتح عصر النهضة وفي سنين مديدة بعد ذلك ، في مجتمع مسلم مبهور بتقدم الغرب مأخوذ بكل ما فيه ، فتلفّتوا نحوه بأبصارهم وعقولهم وقلوبهم حتى تمنوا أن يكونوا غربيين فقال قائلهم : إن تقدّمنا مرهون بأن نأخذ عن الغرب كل ما في الغرب وأن نتمثّل ما نأخذه ، حتى لا نشعر أنه غريب عنّا أو أننا غرباء عنه . . تلك كانت أول دعوة للوحدة الحضارية والفكرية مع الغرب ! وقيّض الله لهذه الأمة قلة من رجال الفكر وأصحاب الدّين فقاموا يحيون الأمة عن طريق نشر تراثها وإحياء لغتها وصيانة ثوابتها . . وارتفعت أصواتهم في الأقطار العربية الممزّقة ، وانتهى الأمر في مجتمعاتنا إلى نشأة تَيَّارَيْنِ كان لكل منهما أثره في كل ميدان . . وكان من ذلك في

الميدان الفكري والتعليمي أن اكتسح النظام الغربي عقول المشرقيّين ، وظنّوا أن لا علم ولا معرفة ولا تقدّم إلا وفق الأسس التي أقام عليها الغربيّون علومهم ومعارفهم وتقدّمهم . . . ومعروف أن الغرب في تلك الحقبة من تاريخه كان غرباً علمانياً بعيداً عن الكنيسة أي بعيداً عن الدين . . فنشأ عندنا على أيدي المنادين بالتقليد للغرب نظام التعليم الأساسي ، وهو تعليم غربي علماني في شكله ومراحله ومضمونه . . . وعجيب أن يطبّق في غير العلوم التطبيقية المحضة كالرياضيات والطب وأن يطبق في العلوم الاجتماعية والتربوية . وظن الآخرون المنادون بالإحياء وبالتمسّك بالتراث أن هذا التعليم لا ضير منه ما دام لا يغلق المسجد أو الكنيسة في المدرسة ، وما دامت دروسُ الدين مرعية الجانب في المناهج وجداول التدريس !!

أضف إلى ذلك انتشار المدارس الغربية والمسمّاة (بالتبشيرية !) في بلادنا كلها واستطالتها على البلاد والعباد بالنفوذ والمال والمظهر ، وبكون خريجيها ـ من أبنائنا ـ (أكابر) البلد بلغتهم ومناصبهم ونفوذهم . . وهكذا لم يمض زمن طويل حتى كنا جميعنا في قبضة

النظام الغربي .

وانفصلت المدارس الشرعية الخاصة ، وقام في البلاد العربية كلها تعليم شرعي .

وإذا نظرت إلى أثر كل من هذين التعليمين :

رأيت الذي خرّجته مدارسنا الأساسية أو المدنية الرسمية أو مدارس التنصير ينظر إلى تراث الأمة ولغتها ، بل إلى كثير مما يتصل بعقيدتها نظرةً أقلُّ ما توصف به أنها غيرُ إسلامية ! فلقد استطاعت المدارس تلك أن تزحزح أكثرية طلابها عن أصالتهم وإرث أمتهم الثقافي ، وأصبح لهم معجمهم اللغوي الذي فيه : الديمقراطية (بدل الشورى) والرجعيّة والتخلّف والتعصّب والأصولية والحياة الروحية (بدل الدين) .

ويتحوّل النبيّ عندهم إلى بطل أو زعيم أو ثوري ، وليس الإسلام عندهم إلاّ حلْقة من سلسلة أديان سماوية جوهرها واحد . . . والدين أمر شخصي بين المرء وربّه . . وكأن الدين عبادة فقط !! وانتهى بهم الأمر إلى محاصرة الدين وحبسه في المسجد ، ونصبوا منهم

وزراء قيّمين على المساجد يعيّنون لها وفيها من يرضون عنه ويبعدون عنها من شاؤوا ، ويتحكمون في دروسها وفتحها وإغلاقها ، وقيل إن الدخول إليها في بعض الأقطار لا يكون إلا ببطاقة تسمح لصاحبها أن يكون من (عباد الله) !!

وإذا نظرت إلى التعليم الشرعي الذي ارتضاه المسلمون لأنفسهم رأيته تفسيراً وفقهاً وحديثاً ، وحفظ قرآن وقراءات ، وعلوم عربية وما يتصل بذلك كله . وهو تعليم يبقي على صلة الأمة بعقيدتها وتراثها ولغتها ، ولكنه غير كاف لأنه بقي واقفاً حيث بدأ ، لم يجدّد فيه ما يكفي لمتطلّبات العصر ، ولم يثمر حلولاً لمشكلات جدّت وأمور أُحدِثَتْ .

ولأنه لا جامعة تجمع بين أصحابه فلكل جماعة مدرسة ولكل مدرسة مذهب ولكل مذهب أتباع ولكل أتباع شيخ ولكل شيخ رأي ومنهج !! وبقيت الأمة على هذه الحال حتى جدّت ظروف كشف الغرب فيها القناع عن وجهه وزعم بصراحة ووضوح أن الإسلام هو الإرهاب ، وأنه في سبيل محاربة الإرهاب لابد من تجفيف ينابيعه ، واتخذ لذلك في كلِّ بلدٍ إسلامي

الإجراء الذي يناسبه ، فتعديل للمناهج الشرعية والتاريخية في بعض البلاد ، وإغلاق للمدارس الشرعية في بلاد أخرى ، وإغلاق تدريجي جزئي في بلاد الشام ، وهو خطوة خطيرة لأنها تمنع الطفل من التعليم الشرعي في المرحلة الإعدادية ، وهي المرحلة التي أمر المسلمين فيها نبيّهم أن يلقنوا فيها أبناءهم قيم الإسلام وتعاليمه ، وإن ذلك عندنا نحن ـ المسلمين ـ شريعة على حين أن الجاهلين والمحابين والخونة يأخذون بشريعة غربية غريبة ويقولون مخادعين : (احذروا تلقين القيم ، إن عليكم أيها الآباء وأيها المربّون أن تَعرضوا على الأبناء وتتركوهم ليختاروا ، إن عدم التلقين وترك الولد يختار هو الذي يجعله متفتّحاً ذا شخصية قادرة على الاختيار وقادرة على اتخاذ المواقف) .

ولست أرى في هذه النصيحة إلا سذاجة وجهلاً وهدماً ، ولست أدري أيبلغ الحمق بمسلم أن يأخذ بنصيحة هؤلاء المربّين ! ويترك وصيّة سيّد المربين وإمام المرسلين ، وهو الذي يقول في كل مناسبة : إن الطفل يولد على الفطرة وأبواه هما اللذان يدعمان الفطرة ويغذّيانها أو يسلخانه عنها . . وهو الذي يقول : علموا

أولادكم . . مروا أولادكم بالصلاة لسبع . .

إن علينا ـ معاشرَ المسلمين ـ أن ننصاع لقول ربنا ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ وإن منهاج التربية الإسلامية ـ كما عرفناه من أيام نبيّنا ﷺ وفي آثار أئمتنا من الخلفاء الراشدين والعلماء الهادين ـ هو وحده الذي يحفظ على الجيل بقاءه في حضن أمته وحصن عقيدته ، لأنه حفظ عليه فطرته وغذّاها بالتربية وعلّمها القيم الفاضلة وطالبها بما عليها من فروض وواجبات وحذّرها من الممنوعات والمحظورات ، إنه باختصار منهج الحلال والحرام ، وهو أكره المناهج عند أعداء الإسلام . . إنهم يقبلون منك أن تقول عن الخمرة مثلاً إنها ممنوعة وإنها ضارّة ، ولكن لا تقل إنها حرام !! لذلك حذفوا كلمة (حرام) أينما وردت في كتب القراءة والمطالعة في بعض البلاد الإسلامية ، واستبدلوا بها غيرها !

إنهم يريدون أن ينشأ الغلام ـ حتى المرحلة الثانوية ـ خاليَ الذهن من الشريعة وقيمها وأحكامها وحلالها وحرامها ، فيكون ما زال على فراغه العقلي والقلبي والنفسي ليتسلّموه مكان أبويه ، وعندها

يُهَوِّدونه أو ينصّرونه أو يُمجّسونه أو يُلَحّدونه أو يغرّبونه !! أو يجعلونه من المؤمنين بوحدة الأديان ووحدة العالم ووحدة المذاهب ووحدة التربية ووحدة الأسر ووحدة المشكلات النسائية ، لأن ما تعانيه المرأة في أمريكا هو ما تعانيه في حلبون ومضايا ومصياف ! وما تعانيه أمريكا من الإيدز وهي التي مات بسببه عام ١٩٩٥ ما تجاوز (٣٣٠) ألفاً هو ما تعانيه منه سورية !! لذلك ما زالت الدنيا قائمةً غير قاعدة ؛ من أمم متحدة ووزارة صحة ووزارة أوقاف وشبيبة ثورة وملايين الدولارات لمكافحة الإيدز في سورية !! والله المستعان على ما يصفون .

وأنا أتساءل لماذا لا يقول هؤلاء المربون المخلصون : اتركوا أطفالكم من دون لغة وحين يكبرون يختارون اللغة التي يريدون . .

إن مدرسة الأبوين في سن الطفولة أروع المدارس التي يمرّ بها الطفل ؛ ففي أحضانها يتعلّم القيم ويتعلّم العادات ويتعلّم السلوك ، وهذا كلّه كوّنته في بيئة الأسرة ثقافة عامة ، هي ثقافة الأب وثقافة الأم وثقافة الإخوة الكبار ، وهي في معظمها ثقافة مستمدة من الدّين لشدّة

صلته بحياة المسلم وسلوكه ، فالوالدان وإن لم يكونا ملتزمين يتصرّفان في البيت أمام الأولاد تصرّف الملتزمين . وفي هذه المدرسة الأولى يكتسب الطفل أهمَّ ما يتربى عليه وينمو معه من قيم أخلاقية كالصدق والكذب ، والجيّد والرديء ، والحسن والقبيح ، والأمانة والخيانة . . بل بتعبير صريح يتعلّم الحلال والحرام ليصبح ذلك عنده مقياساً يراعيه في سلوكه .

إن الطفل يرضع بعد حليب أمه ثقافة أسرته ، وثقافة الأسرة مزيج دسم من كل ما اختزنه أفراد الأسرة من لغة وأدب ودين وعلم ، ومن تجارب مرّوا بها منفردين ومجتمعين ، وعمود ذلك كله الدين لأنه هو العقيدة المسيطرة التي لا ينكر أثرها في النفس إلا مكابر أو معاند أو واحد لا يعرف الدين !

وهذا الجوّ الثقافي هو الذي نخشاه في البيئات الموبوءة أو في البيئات غير الإسلامية عامّة ، وهو الذي كنا نخشاه حين تحدثنا عن خطر المدارس الأجنبية في سن مبكرة كالحضانة والابتدائي والإعدادي ، فهي لا خطر منها في الناحية العلمية ولكن خطرها من الثقافة ومن جوّ العادات والتقاليد والقيم ، يعيش فيها الطفل

ويتشرّبها ويتأثر بها وهو في مرحلة الامتصاص والاكتساب . . وهذه المرحلة الخطيرة من حياة الناشىء هي عندهم مرحلة الجذب والانسلاخ ، وهي التي يبقى أثرها عميقاً في النفس والسلوك ، فليحذر ذلك الآباء والموجّهون التربويّون ولا ينخدعوا بالعلم الذي يقيسون به تقدّم أولادهم ، فمفردات اللغة الأجنبية ، وجداول الضرب والقسمة ليست هي المقياس في نموّ الشخصية وسلامة القيم وسموّ الهدف . . إن الآباء والمربين مسؤولون عن أبنائهم مسؤوليةَ الراعي عن رعيّته .

إن في مجتمعاتنا العربية اليوم كثيرين ممن تخرجوا من تلك المدارس وهم لا يختلفون عن زملائهم في العلم بل إن بعضهم ليزيدون عليهم ولكنّهم يختلفون بمواقف وآراء شاذة وطنياً وقومياً وإسلامياً .

ومن هنا نقول إن تلقين القيم في مرحلة مبكرة ، ووحدة تلك القيم أو بتعبير أدق وحدة النظرة إلى تلك القيم أمر مهم حتى لا تحصل في نفس الناشىء ازدواجية من ناحية فردية وحتى لا يحصل خلل في المجتمع من تعدّد النظرات إلى تلك القيم مما يؤدي في المستقبل إلى نزاعات اجتماعية ، وربما يؤدي إلى حروب أهلية .

إن نظرة المسلم مثلاً إلى الشرف وإلى العفة مختلفة عن نظرة غيره ، وكذلك نظرته إلى علاقة الأولاد بآبائهم وأمهاتهم ، بل بالكبار والمسنّين من أسرهم غير تلك النظرة المقزّزة اللاإنسانية التي تنتهي معها العلاقة العاطفية والصلة الحميمة بين الابن أو البنت وبين الأسرة بعد سن البلوغ في المجتمع الغربي . إن الآلاف من الأبناء والبنات لا يرون أمهاتهم إلاّ في (عيد الأم) وقد يكتفون بإرسال بطاقة تتوبُ عن حضورهم !!

لقد سمعت محاضراً ضيفاً في دولة عربية خليجية يدعو إلى إنشاء دور للمسنين ترعاهم وتهتم بشؤونهم ، وهو يعلّل دعوته بعرض الأسباب الداعية إلى ذلك ، وأشهد أنها كانت كلها أسباباً غريبة عن الخليج وبيئة المجتمع الخليجي ؛ إن المحاضر الغريب استورد مشكلات مجتمع واقترح حلّها في الخليج !!

وقد قلت له هذا أمام الجمهور عقب محاضرته وذكرت له كيف كنا ونحن صغار نتحلّق حول خالاتنا وعمّاتنا وأعمامنا وجدّاتنا وأجدادنا ثم حول أمهاتنا وآبائنا في سعادة غامرة ، وفي ساعات هي من أحلى ساعات العمر وأجمل ذكرياته ، وليس الموضوع بعد

ذلك موضوع صلة عاطفية ولكنه شأن تربوي يريد به أعداؤنا التفريق بين الجيل الناشىء الجديد وبين أصوله وجذوره وملقنيه القيم والأخلاق والعادات والسلوك ، وهم يضعون أمامه تجارب حياتهم وعصارة خبراتهم وخلاصة توجيهاتهم ونصائحهم في جوّ عائلي ممتلىء بالحب والحنان من الآباء والأجداد وبالتقدير والاحترام من الأبناء والأحفاد . إنها الطريقة التربوية الإسلامية والمقبولة بل التي يفرضها العقل ، وهي التي لا تبدأ في تربية كل جيل من الفراغ وتقطع صلته بما قبله ، ولكنها تبقي الاتصال بالنافع من الماضي ، وتضيف إليه ما تحتاجه من الحاضر وما تدّخره للمستقبل . وهذا ما يفسره لنا قول عمر بن الخطاب حين أوصى رجلاً رآه يؤدب ابنه ألاّ يؤدبه ليكون مثله لأنه خلق لزمان غير زمانه ! وقد أعجبني قول أحد الكتّاب حين تحدّث عن التجربة اليابانية في التربية فقال : إن اليابان بدأت الإصلاح من (تحديث السلفية) بمعنى أنهم شرعوا بتطوير الكلية الإمبراطورية ، وهي كلية تقليدية سلفية ، فبدأ التطور بجعلها سلفية لا تمنع التقدم ، بل تأخذ من التقدمية ما لا يتعارض مع سلفيتها . إننا نريد تربية لا تبتّ الصلة بالأصل ، ولا تتحجّر فوقه ، بل تسير

نحو المستقبل ، وتغني الأصل وتطوّره على وفق ما يقتضيه العصر الحاضر وما يتطلبه الاستعداد للمستقبل . إنها صورة عن الإنسان الذي يعيش عصره دون أن يتنكر لنسبه وانتمائه .

فهل حدث هذا في بلاد العرب والمسلمين حين فتحوا أبواب عصر النهضة ؟ إنهم بدؤوا الإصلاح بإنشاء المدارس ثم المعاهد والجامعات على النظام الغربي ! ولم يلتفتوا إلى تطوير مدارسهم ومعاهدهم التعليمية التقليدية . . لقد استبدلوا بها مؤسسات جديدة وأنظمة جديدة وأساليب جديدة .

وغير خاف أن إقامة البناء جديداً من أساسه خير وأقوم من ترقيع القديم وترميمه وإخفاء عيوبه حيناً وتغيير ظاهره حيناً آخر على أن تكون إقامته مستمدّة من ثقافة الأمة الذاتيّة وقيمها !! إن أهم ما يجب التنبّه إلى خطره أن الفلسفة التي قامت عليها النظم التعليمية والمناهج التربوية في الغرب حدّدت للإنسان غايات تسعى نظمها التعلمية والتربوية في جميع مراحلها إلى تحقيقها وهي التقدّم عن طريق التنمية والرفاه . . وأنه لا قيمة لما تدفعه الإنسانية ولما تقدمه من تضحيات في سبيل (التنمية) وهي في حقيقتها (تنمية) ماديّة سيّدها

(الاقتصاد) وأيديها كالأخطبوط تمتد إلى كل مجال من مجالات الحياة الطبيعية والبشرية والاجتماعية ، بل إلى الأسرة وإلى المرأة ، وإلى ربط الفقر بكثرة النسل وإلى الطفل . . ولم يبق لمؤسسات الأخطبوط الغربي إلا أن يضع (عدّاداً) لكل مسلم يحدّد له عدد أنفاسه وعدد لقائه بزوجته . . وأدعياء الإسلام منّا يسيرون في تنفيذ تلك المناهج كما يسير قطيع الغنم معلّقين الفقر بقلّة الرزق أو الدخل ، ومعلّقين قلّة الدخل بكثرة النسل ، وكأن الأرض أو الطبيعة هي (الرزّاق) . . وكأنهم ـ وهم المسلمون ـ لم يسمعوا قول ربهم ﴿۞ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا﴾ [هود : ٦] ، وكأنهم لم يروا أن سادتهم أصحاب تلك البرامج الخبيثة ينفقون على أسلحة الدمار ما لو أنفقوا ربعه على إغناء العالم بل لو أنفقوا نصفه على رفاه العالم لكفوه . وكأنهم لم يروا أن سادتهم الغربيين سخّروا العلم بعيداً عن القيم الإنسانية والخُلُقية فأهلكوا الحرث والنسل وأفسدوا البيئة فاختلّ التوازن وقلّت الأرزاق، ومع ذلك فإنسادتهم الذين يدّعون الخوف من فقرنا ويدّعون الحرص على رفاهنا يلقون فائض إنتاجهم من القمح أو من غيره أحياناً في

البحر أو يحرقونه حتى لا تهبط أسعاره في أسواق تجارتهم وحتى لا ينتفع به العالم النامي أو المتخلّف أو الفقير .

إنهم لا يرون مانعاً من تدمير الطبيعة بل تدمير الإنسان نفسه في سبيل التنمية والرفاه . . ونحن نسأل إذا لم تكن التنمية نفسها تنمية في سبيل الإنسان ، ولم يكن الرفاه نفسه رفاهاً في سبيل الإنسان ، فلمن يكون ذلك كله ؟!

ولعل الجواب الخفيّ وراء أسئلتنا هو أن ذلك كله لن يكون إلا للإنسان ، ولكن الإنسان نفسه ليس إلا إنسانهم فهو وحده الإنسان السيّد الذي يسخّر له العالم بطبيعته وكنوزه وإنسانه . . وهي نفسها نظرة اليهود إلى العالم !!

إن النظام التربوي الغربي بعد أن نظر إلى الدّين من خلال الكنيسة فتجنّبه وأبعد قيمه عن الحياة وخضع لفلسفات الماديّين على اختلاف مذاهبهم ، أصبح نظاماً خطراً لأنه استبدل بالإله آلهة ماديّة ، وسخّر الإنسان للكون بدل تسخير الكون للإنسان ، ولا أشك أن نهاية ذلك كله هو الدمار .

إن النظرة الإسلامية إلى الكون وإلى الحياة وإلى

الإنسان ، هي وحدها القادرة على إنقاذ المسلمين خاصة ، وإنقاذ العالم عامة من المصير المحتم الذي تقوده إليه نظرات الغرب ومناهجه .

متى تبدأ التربية ؟

في محاضرة سمعتها للمفكر الإسلامي مالك بن نبي في جامعة دمشق في الخمسينيّات عن التربية ، سئل الأستاذ مالك في أي سنّ تبدأ تربية الطفل ؟ فأجاب : إن تربية الطفل تبدأ قبل أن يولد ! وشرح عناية الإسلام ووصايا الرسول ﷺ باختيار الزوجة الصالحة التي ستكون أمّا لطفلك ، ثم تدرّج بسرد الوصايا المتعلّقة بالوليد ورضاعه ورعايته وأثر صلة أمّه به حتى يكبر . والحق أن حضنها بيئته وصوتها موسيقاه ولمستها طمأنينته وحليبها دمه الذي يسري فيه مع الحليب نسغ الإيمان والانتماء . . ثم لغة الأبوين وجوّ الأسرة وعاداتها وسلوك أفرادها صورة ترتسم في مخيلته فينطلق ناشئاً يقلّدها في غير كلفة ، فإذا هي صفاته وخصائصه وسلوكه .

وهذا هو الذي يريد مربّو الغرب وأتباعهم أن يبعدوا

الطفل عنه فخططوا لذلك ونجحوا !!

لقد نقلوا مشكلاتهم إلى مجتمعاتنا زاعمين أنهم أصحاب تجربة سابقة ، وهم يعتقدون أن نظامهم هو المثالي أو المثل الأعلى الذي على دولنا النامية أو المتخلفة أن تحذو حذوه وأن تتخذه قدوة لها فقالوا :

لمّا كان الكبير العاجز عن العمل لم يعد ذا نفع لأنه مستهلك غير منتج فليوضع في مأوى العجزة أو دار المسنّين ، وبذلك لم يعد في حاجة إلى من يرعاه في البيت فتخرج بنته أو بناته إلى العمل ليزداد الإنتاج ـ إذ هو غاية التنمية ! ـ ومتى ألفت المرأة حياة العمل لم تعد قادرةً على البقاء في البيت ، فإذا تزوجت وولدت فلتضع وليدها في دار الحضانة ، يرعاه غيرها وتتفرغ هي لعملها ووظيفتها . . فإذا انتهت مرحلة الحضانة ـ وهي أصلاً من وظائف الدولة في كثير من دولهم ـ تلقفه التعليم الأساسي وهو تعليم إلزامي يستغرق سن المراهقة وسن تكوين الشخصية (فيطبخونه) ويلقنونه ويوجهونه ليكون آلة تتجاوب مع ما في أنظمتهم . . ويتابع السير بعد ذلك في الاتجاه الذي رسموه وبذلك تتفتّت الأسرة !!

ولقد رأينا حال الأسرة في الغرب ، ورأينا حال استقلال كل فرد من أفرادها ، وما نجم عن ذلك من مآسٍ إنسانية ما زالت تتفاقم عندهم عاماً بعد عام . وجاؤوا اليوم إلينا يريدون أن يطبقوا أنموذجهم المثالي في بلادنا ، ووجدوا عندنا مَن قبل العمالة لهم بالقناعة أو بالدولارات المتسّترة بالقناعة . . وامتدت أيدي الأخطبوط الغربي المتمثّل بهيئة الأمم المتحدة ومنظماتها ومؤسساتها ، وهي كما يعلم القاصي والداني محكومة من قبل الصهاينة والمتصهينين (واقرأ إن شئت كتاب « الصحوة » لديفيد ديوك ، لتعلم حقيقة ذلك) امتدت أيديهم إلى التربية فعدّلت وجهتها في بلاد المسلمين لتكون التنمية المستدامة والرفاه هما الهدف الأسمى الذي يسعى له الإنسان ، ولو كان هو نفسه ثمناً لذلك !! وامتدت أيديهم إلى التعليم فمنعوا التعليم الخاص إلا إذا كان بإشراف الدولة أي بإشرافهم ، ثم منعوا أن يكون هناك تعليم آخر غير التعليم الأساسي الإلزامي لئلا يكون في بلاد المسلمين تعليم شرعي أي إسلامي خاص . . واحتكروا لأنفسهم أطفال الأمة وشبابها حتى المرحلة الثانوية وسيحتكرون ما بعدها من

تعليم جامعي بجعله منهم ولهم أو تحت مراقبتهم . وامتدت أيديهم إلى الأسرة وإلى المرأة ،

ولما كانت المرأة عماد الأسرة في البيت ومحور نشاطها التربوي وعصمتها من الضياع والتشتّت فقد زيّنوا لها الخروج إلى العمل ، إلى كلّ عملٍ ، لتكون عاملةً أو موظفةً أو وزيرةً . . بل لتكون أي شيء تريده إلاّ أن تكون ربة بيت ومربية أبنائها !! ولتتفرّغ لكل شيء إلاّ لأمومتها التي لا يقوى غيرها على القيام بها ، وبذلك فإن غيرها هو الذي يرعى أبناءها وهو الذي يطعمهم ويسقيهم ، وهو الذي يسهر عليهم ويسامرهم ويغذيهم مع زجاجات الحليب بلغته وعاداته وأفكاره . . ولاشك أن هذا البديل سيكون سيرلنكية أو أندنوسية أو هندية أو الدولة . . ولتكن أي شيء إلا أن تكون الأم !!

ستتولى الطفل عن أمه مربيته أولاً ثم دار الحضانة ثانياً ثم التعليم الأساسي الإلزامي ثالثاً ، ثم يتابع السير في مراحل تلك الحياة الاصطناعية ، منتقلاً من مرحلة إلى مرحلة كما تنتقل المادة المصنّعة في المصانع حتى ينتهي بعد ذلك إلى إنسان أقرب إلى الآلة المطواع منه إلى الإنسان الحرّ المفكّر . . .

إن الغرض من ذلك كله خلخلة حياة الأسرة وعدم تفريغ المرأة لوظيفة الأمومة المقدسة التي خُلِقَتْ لها ، وعدم تمكين الأم من تربية ابنها لئلا ترضعه مع حليبها ومع دفء حنانها وعاطفتها ديناً وعقيدةً وقيماً وتربيةً وسلوكاً !!

إن الأمم المتحدة اليوم تعقد المؤتمرات وتنشىء الإدارات والمؤسسات وتنفق ملايين الدولارات لتتولى تنظيم حياة الأسرة ، ولتطوّر الأسرة في الدول النامية ـ ومن بينها سورية ـ ولتعنى بالتنمية وبالصحة الإنجابية (خاصّة) وبتثقيف الريفيات ، وبتعليم المراهقين والمراهقات تربيةً مشتركةً حرّة ، ولكنها تخاف على صحتهم فتعلن أن برنامجها هو للوقاية من الإيدز . . ! إنها ليست تربية لمنع أسبابه ولكنها إجراءات صحية لعدم الوقوع فيه أو الإصابة به !!

ولو كان القائمون على مكافحة الإيدز مربّين أو مخلصين لأدركوا القاعدة التربوية الحكيمة التي تقول إن تجنب الغايات يقتضي التحذير من البدايات ، إن السذج أو الخبثاء هم الذين يعلّمون كيف يكون تجنب النتائج ولا يعلّمون مكافحة الأسباب . . إن المنهج القرآني في

التربية لم يقل للناس لا تزنوا ولم يعالج نتائج الزنا ، ولكنه قال : ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰٓ ﴾ [الإسراء : ٣٢] ، ومقاربته تعني السير فيما يوصل إليه ويوقع له ، لذلك كان في التعبير إشارة إلى منع أسبابه منذ البداية ، ولم يكن لإرشادنا إلى ما ينبغي بعد وقوعه .

إن التربية الصحيحة هي التي تغرس في النفوس ما يحول بينها وبين المفاسد والشرور ، وليست هي التي تعلمك كيف تصنع المفاسد وترتكب الشرور وتنجو بعد ذلك من العاقبة !! لذلك كانت من وسائل الإسلام التربوية وسيلة (سدّ الذرائع) لأن العقل يقضي ألاّ يترك الإنسان وسيلةً تصل بالمرء إلى المفاسد والشرور ثم تعلّمه الوقاية أو النجاة من آثارهما !!

إن تخطيط الغرب يركز على أن تقوم الدولة نفسها بهندسة المجتمع ، وألاّ يترك المجتمع بأفراده أو علمائه أو مؤسساته ليتولى شيئاً من أمور نفسه ؛ لا في التربية ولا في التعليم . وليس في الغرب من حيث الظاهر أثر للكنيسة ـ أي للدين ـ في أعمال الدولة ومؤسساتها التربوية والتعليمية ، لأن عملها لا يخرج عن إطار سلك رجال الدين والكهنوت ، ولا يتعدّى ذلك إلى المعاهد

والجامعات ، وهم يظنون أو يعلمون الحق ولكنهم يريدون أن يعاملوا الإسلام معاملتهم للكنيسة ، وبذلك يبقى المسجد دار عبادة ويبقى للإسلام تعليمه الذي يخرّج (أرباب الشعائر الدينية) !! وأما الفقه وأصوله والتفسير وسائر علوم الشريعة فلابدّ أن تحاصر حتى تجفّ . . .

إن الغرب قد خطط لتهندس كل دولة مجتمعها وتضعه في القالب الهندسي الذي رسمه الغرب لها فلا يخرج عنه ، وقد نجحت في رسم قوالبَ كثيرةٍ في التنمية والتجارة والاقتصاد ، وهي اليوم بصدد التنفيذ لما خططت له في ميدان التربية ومناهج التعليم ليتجه المجتمع المسلم اتجاهاً غربياً تتخلخل فيه الأسرة ، وهي الخلية الحية الفاعلة في بناء المجتمع ، وتتمرد المرأة فيه على مجتمعها وقيمه وتتنكر لوظيفتها في الأمومة ، فهي ليست آلة للتفريخ كما صوّروا لها ، وهي شريكة الرجل في العمل والشارع والمطعم والمرقص . . وهي إنسان حرّ يملك جسده ويملك حق التصرّف فيه . . وكل ذلك حريّة شخصية ، بل هو اليوم عند بعضهن حق من حقوق المرأة التي تطالب بها .

إن كثيراً من الكتّاب والباحثين وأدعياء الإصلاح يرون أن المؤسسات الثّقافية والاجتماعية والصحية تقوم بوظيفة الأسرة ظانين أن وظيفة الأسرة إرضاع وإطعام و . . . ، ونحن نسأل : أين الذين يقومون عن الأسرة بالمحافظة على عقيدة الأطفال والأبناء وهي أولى واجبات الأسرة تُلَقّنهم ذلك بالقدوة أولاً ثم بالتربية المنزلية القائمة على الرحمة والمودّة . .

لقد مضى على إنشاء المؤسسات عشرات السنين ورأينا ثمار عملها جيلاً لا يعرف من الإسلام إلا اسمه ، ولا من العقيدة إلاّ رسمها . . ولا يرى في آبائه إلا رجالا لم يعودوا يصلحون لهذا العصر ؟!

إن الإسلام لا يرى في الأسرة مجرد رجل وامرأة يجتمعان للنسل ، ولكنه يرى فيها خليّة بناء . . الطرفان فيها من نفسٍ واحدة ، وإذا كانا طرفين فقد جمعتهما السكينة والمودّة والرحمة ، ولكل منهما واجبه ؛ فإذا تخلّى أحدهما عن واجبه اختلّت الخليّة وبدأ التفسخ يدبّ في المجتمع وأضحَت الهيمنة على الأبناء في كل شيء خارج نطاق الأسرة ، وما هو خارج الأسرة واقع تحت هيمنة أنظمة حزبيّة أو حكومية لا تُؤمَنُ في جميع

الأحوال على العقيدة ، ولسنا واثقين دوماً من حسن توجيهها فكرياً وسلامة مراقبتها سلوكياً . فإذا سلمت النيّة منها فلماذا تنافس الأسرة في هذين الميدانين : ميدان التربية الفكرية والسلوك المستقيم ؟! وإذا لم تكن النيّة سليمةً فمن باب أولى أن تتمسك الأسرة بموقعها في الحياة الإسلامية وبوظيفتها في المجتمع . إن الحكومة الخفيّة المسيطرة على الإدارة الأمريكية ومن خلالها على هيئة الأمم المتحدة وعلى إدارتها المالية والسياسية لتشدّد الضغط على حكومات العالم ، وخاصة في العالم العربي والإسلامي للسير في مخططاتها ، وهي تسلك لذلك مختلف الوسائل والسبل ، ولعل من آخر تلك الوسائل أن تنزل من مستوى الحكّام والحكومات لتختلط بالمؤسسات والجماعات غير الحكومية كالاتحادات النسائية والشبيبية والطلابية لتتخذ منها عناصر دعم وتأييد ووسائل ضغط داخلي على الحكومات وعلى مجتمعاتها مقدمة لِأُجَرائِها منهم الدّعم المادي والمعنوي والإعلامي . .

إن الأمم المتّحدة استطاعت أن (تبرز قضية المرأة) على أنها قضية عالمية ، ووجهت اهتمام العالم إليها

وجعلته يعقد لها المؤتمرات ، وهي لم تفعل ذلك من أجل القضايا النووية لكوريا أو إيران ! ولقد قرأ الناس كلهم عن (مؤتمر بكين للمرأة) وهو المؤتمر الرابع في سلسلة الحلقات اليهودية التي تغطي أهدافها في نشر الإباحية والفوضى الجنسية تحت ستار تحرير المرأة وحقوق المرأة . ومع أن مشكلات النساء ليست واحدة في العالم فقد استطاعت الولايات المتحدة بمن فيها من يهود ومن أعداء للإسلام والمسلمين وبما عندها من إمكانات مادية وعملاء وعميلات أن تنشر في المؤتمر جوًّا يجعل المرأة الشريفة أو العنيفة تشمئز فكيف بالمرأة المسلمة ؟!

ـ لقد طالبت مندوبات أمريكا وكندا وبعض الدول الأخرى بإباحة الحرية الجنسية وإباحة الشذوذ الجنسي ! وهما أمران مباحان في تلك البلاد ، فلماذا يطالبن بها إلا للبلاد الأخرى عامة والإسلامية خاصة ؟

ـ لقد كانت معظم الوفود الغربية مهتمة بإصدار المؤتمر لقرارات ملزمة تبيح حق الإجهاض للمرأة الحامل ، وتبيح الحرية الجنسية للمراهقين .

ـ قامت مجموعة من المسلمين والمسلمات بتوزيع

نشرات تتحدث عن حقوق المرأة في الإسلام فهاجمتهم مجموعة تمثل السحاقيات ومزّقت المنشورات والملصقات الإسلامية .

ـ لقد طالبت إحدى عضوات الوفد الأمريكي واسمها جيرالدين فورد ، وهي نائبة سابقة ، بإقرار حق الشذوذ الجنسي وحق السحاق للمرأة على أنهما من الحقوق الإنسانية المشروعة !

إنهم يريدون نشر فسادهم في العالم الإسلامي الذي حماه الإسلام من كل تلك الأوبئة ، وكانت العناصر اليهودية الخفيّة والظاهرة وراء تلك الدعوات والمؤتمرات . . ولقد علّم اليهود المجتمعات الغربية التي عاشوا فيها كل تلك الرذائل حتى سيطروا عليها ، وهي الآن منتشرة في البلاد الإفريقية السوداء . . بل إن ذلك واقع في المجتمع الإسرائيلي نفسه ، ولقد قرأت في جريدة خليجية نقلاً عن جريدة (دافار) الصهيونية أن أكثر من ألف حاخام يهودي كانوا في مؤتمر بكين يطالبون بإصدار قرارات تحمي العاهرات والشواذ ، وطالبوا بإدخال التربية الجنسية في مناهج التعليم ، وهم يعلمون أن آلاف الطالبات عندهم يحملن سفاحاً كل عام .

لقد آذى الغربَ وآذى اليهودَ أن يبقى المجتمع المسلم أنظف المجتمعات وأبعدها عن تلك (الحقوق) الشرور بفضل حماية الإسلام للمرأة وللأسرة وللمجتمع .

إن المسلمين والمسلمات يجب أن يعرفوا أن (منظمة المرأة للبيئة والتنمية) منظمة أمريكية يهودية ، تطالب بحقوق الإجهاض وحقوق الزنا ، لأنهما في نظرها حقان شرعيان من حقوق المرأة . إن كثيراً من الأفكار الثقافية والدعوات الاجتماعية يصدّرها الغرب عن طريق الندوات والمؤتمرات ، وعن طريق محاضرين وتصريحات خبرائه إلى الشّرق المسلم محاولاً تكثير سواد المؤمنين بها ، مستغلاً اسم المرأة وشعار الحرية والتحرير والمطالبة بالحقوق ، وهي شعارات تختفي وراءها رغبة الغرب في سلخ المسلمين من إسلامهم وإلباس سلوكهم اسم الحرية وجعل هذه الحرية هي رمز التقدّم في نظر الشباب والفتيات وتوسعة معنى الحرية لتتسع لكل تصرّف شخصي مهما يكن شاذًّا أو عيباً أوحراماً !! إن من حرية المرء أن يزني أو يلوط أو يقيم علاقات جنسية شاذة ، بل إن بعض الدول الغربية أباحت

لمواطنيها في الأسبوع الماضي تعاطي المخدرات !

لقد خطّط الغرب ومراكز البحوث النفسية والاجتماعية فيه وأوجد كثيراً من المؤسسات والتنظيمات تحت أسماء كثيرة وشعارات مختلفة لتشارك أولاً ثم لتحلّ محلّ الأسرة في عملها الاجتماعي ، وأحكم ربطها بالدولة التي تهيمن على كل شيء ، والتي تقوم عن الأسرة بواجب الحضانة والرعاية والصحة والتعليم ، وبذلك أفرغ الأسرة من أهم واجباتها وأفقدها خصائصها الإنسانية من ترابط وتلاحم وانسجام فكري وتربوي . . وهمشها وسحب أطفالها من جوّ التربية العربية والإسلامية وقلّص أثرها وأفقدها سيطرتها على أبنائها حتى كان في نظر بعض الثوريين : أحسنُ الأولاد أكثرُهم تمرّداً على أبويه ! وأكثرهم تفتّحاً أشدّهم رفضاً لعادات الأسرة وتقاليدها .

إن أثر الفلسفة الغربية والثورة الصناعية غزت العالم الإسلامي حتى أصبح في جمهرة من أبنائه غربيًّا وغريباً عن المجتمع المسلم ، سواء أكان ذلك عن إحساس وإدراك أم كان بلا شعور . إن المسنّين من أمثالنا أي المخضرمين الذي عاشوا زمانين ؛ ماضياً فيه بقايا الأسر

المسلمة ، وحاضراً بعيداً عن الإسلام هم الذين يوازنون ويعرفون ويدركون ، وأما الذين عاشوا في هذا الزمن وحده من شباب وفتيات ولم يعرفوا غيره معرفة حقيقية علمية ، بل لم يعرفوه معرفة نظرية من خلال التاريخ فلن يستطيعوا المقارنة لأن التلفاز والرياضة والمسابقات الإعلامية في الفضائيات على أسئلة لا تثقّف ولا تفيد سوى فائدة واحدة هي إبعاد الجيل عن حقائق تاريخية وعن عظماء أمته ، وحشو دماغه بأسماء أبطال المسلسلات والمغنين والمغنيات وأسماء لاعبي الكرة . . لأن كل ذلك هو الثقافة التي يُراد للجيل أن يقبل عليها ويهتمّ بها بديلاً عن كل ثقافة تذكّره بمن هو في هذا العالم ؟ وإلى من ينتمي ؟ وبماذا يؤمن ؟ ولماذا خلق ؟

إن على المرأة اليوم أن تتصدّى لمن ينادون بأن الأسرة اليوم لم تعد قادرة على حماية نفسها ولا على تنشئة أبنائها ولا على رعايتهم صحيًّا ، وينادون بأن تكون الدولة هي المسؤولة عن ذلك كله . إنهم ببغاوات وإمّعات ينقلون ما يقوله بعض الغربيين وما يكتبونه من أن الأسرة ما هي إلا نظام قديم من بقايا الأنظمة القبلية والعشائرية ! وإنها بوجودها لا تدل إلا على التخلف !

إن المرأة اليوم مدعوّة إلى إيقاف تيّار التغريب واستعادة مكانتها التي خصّها الله بها ، ومكانة الأسرة في الحياة الاجتماعية والتربوية بل إنها مدعوّة للقيام بوظيفتها التي لم تستطع أن تقوم بها مدرسة ولا جامعة . . ومدعوّة للمحافظة على الخليّة الأولى في حياة المجتمع المسلم وفي بناء الأمة .

ونحن على يقين بأنه إذا قامت المرأة بوظيفتها في الأسرة كانت أقوى من الدولة وأقوى من مؤسساتها في تربية المجتمع ، وكانت سدًّا منيعاً يستعصي معه التغريب والتخريب .

إن بيد المرأة اليوم أن تكوّن اللبنة الأولى في بناء المجتمع السليم وبيدها أن تصفع الغرب وأن تصمد ما لم تصمد الدول والحكومات ، وأن تبزّ الرجال في استعادة سلامة المجتمع وصحوة الأمة ومجد الإسلام .

احذري أيتها الأخت أن تتركي طفلك وابنك لغيرك ، وبادري إلى توعيته منذ يبدأ وعيه توعيةً مبكّرة صريحةً يعرف من خلالها من هو ومن ربه ولماذا خلقه ، ويعرف أن لله أعداءً من عباده وللمسلمين أعداء من

اليهود والصهاينة والماسونيين والمستعمرين ، وأنهم يجتمعون على هدف واحد كما تجتمع الأَكَلةُ على قصعتها يريدون هدم المجتمع الإسلامي وخلخلة الأسرة المسلمة وطمس معالم الإسلام وزحزحة أبنائه عن عموده ، ووسيلتهم إلى ذلك غزو أخلاقي يفسد الأخلاق وينشر الرذائل ، وغزو فكري يشكك في العقيدة ، وغزو ثقافي يهمّش التراث العربي الإسلامي . ينشرون ذلك كله بوسائل الإعلام من مرئية ومسموعة ومكتوبة ، ومن مجلات مصورة خلاعية ، ومن تشجيع الشباب والفتيات على ارتياد الأندية المختلطة ورؤية أشرطة وتسجيلات تثير الغرائز وتعلّم الفحش والفجور .

على الأسرة ـ والأمُّ عمادُ التربية فيها ـ أن تحذّر ابنها من كل ذلك ، وأن تعلّمه كيف يحفظ (صحّته) الدينيّة والنفسية والفكرية كما يحفظ صحته الجسمية من الأوبئة والجراثيم .

وعليها أن توجهه وتعينه على اختيار الرفيق الصالح والصديق الأمين والشيخ المرشد الحكيم ، وأن توجهه نحو مجلس علمٍ ودينٍ يكتسب منه العلم والتقوى

والإيمان وحسن الخلق ويجد من أهله البيئة الصالحة .

إن مسؤولية تربية الأبناء في الإسلام مسؤولية جسيمة وخطيرة ، وإن على راعي الأسرة أن يقي أهله من النار . إن عليه أن يبدأ تربية الطفل منذ ولادته أذاناً وتلقيناً ، ثم ذكراً ثم تزداد التكاليف كلما كبر الطفل ليطالب بالقرآن ، حفظاً وتلاوة ، ثم بالسلوك ربطاً بالخالق عبادةً وبالمسجد واحةَ راحةٍ ، راحة للنفس واطمئنان في العقل والقلب ، فإذا أصبح شاباً ـ أي في الجامعة مثلاً ـ لم يعد يُخشى عليه لأنه استوى رجلاً مسلماً بقلبه وعقله وسلوكه .

لذلك كانت التربية الغربية والمستوردة إلى بلادنا تحرص على أن تبقي الطفل في رعايتها حضانة وتعليماً أساسياً ليقطع المسلمون الأمل منه بعد أن استوى أنموذجاً غربياً بلسان عربي !!

وإن الجيل الذي عاش العصر الذي عشته وعرف الحياة الاجتماعية والتربوية التي عرفتها في البيوت القديمة ، وفي الحارات الشاميّة بدمشق القديمة ، وفي المدارس المتواضعة ، وفي مجالس الآباء وأهل الرأي من رجال الأحياء ، عرف حلاوة تلك الحياة ـ على

تخلّفها الماديّ ـ وعرف راحة النفس وصدق الوطنية والانتماء ، وعرف قوة اللحمة بين أبناء الأمة بصدق وإخلاص ، ولم يعرف قلقاً في النفس ، ولا خواء في القلب ولا تبعيّة في الفكر أو ضياعاً ! ولكن هذا لم يستمر لأنّ أمتنا استوردت مع المدنيّة الحديثة قيمها ! وبدا الخلل يتسرّب وأصبحت مدارسنا مخابر للتجارب التربوية ، حتى اسم الوزارة لم نستطع أن نعرف له ثباتاً لأنه يتغير بتغير مدلوله فكان الاسم وزارة المعارف ثم أصبح وزارة التربية والتعليم ، ثم حذف التعليم وأصبحت وزارة التربية ويبدو أن التربية التي يريدونها في مدارسنا قد آتت أُكُلَها ، لذلك انتقلوا بالتنفيذ إلى (مدرسة الأسرة) يريدون أن يصلوا بها إلى ما وصلوا إليه في (مدرسة الدولة) ! ولما كانت (الأم) أي المرأة هي عماد تلك المدرسة فقد أولوها اليوم اهتمامهم وقاموا يطالبون بتحريرها ودفع العنف عنها وإعطائها حقوقها ! !

لم يكن الغرب قديماً ينظر إلى الأسرة على أنها واحدة من مؤسسات المجتمع المدني لأنها على صلة بالدّين وأحكامه من زواج وطلاق وإرث ، أي أنها من اختصاصات الكنيسة ، وأما مؤسسات المجتمع فهي

الأحزاب والنقابات والتجمعات المشابهة . . ولكن ذلك تغيّر وامتدت يد الأخطبوط ليجعل الأسرة والمرأة والطفل من اختصاصات الدولة !!

ووصل هذا الفكر إلى صحفنا ونادى بعض الكتاب بعجز الأسرة عن القيام بواجباتها ، ودعا إلى أن تقوم الدولة عنها بالرعاية الصحية وبالحضانة . وكانت أنجع وسائلهم أن يجعلوا الضغط على المجتمع من داخله فحرّضوا نساءنا على المطالبة بكل ذلك ؛ فكثرت في البلاد العربية والإسلامية الجمعيات النسائية والاتحادات النسائية وكثرت الجمعيات المتصلة بالمرأة والأسرة تحت عشرات الأسماء التربوية والاجتماعية والصحيّة والاقتصادية . وكثير من هذه الجمعيات أو من المنتسبات إليها لا نعلم مَنْ وراءها ! وهذه شهادة أنقلها بالحرف جاءت على لسان أمريكية هداها الله وأسلمت وتسمّت (شريفة كارلو) تقول : عندما كنت في سن المراهقة استرعيت انتباه مجموعة أشخاص لديهم برنامج بالغ الشؤم ، كانوا ـ وعلى الأرجح ما زالوا ـ مجموعة دنيئة من أفرادٍ يعملون في مراكز حكومية ، لكن لديهم مخطط خاص لتقويض الإسلام . إنهم

بحسب اعتقادي ليسوا مجموعة حكومية ، وإنما هم يستخدمون مراكزهم في حكومة الولايات المتحدة الأمريكية ليدفعوا بمصالحهم قُدماً .

اقترب مني أحد أعضاء هذه المجموعة وقد لمس منّي فصاحة التعبير والنشاط والدفاع عن حقوق المرأة ، قال لي إن أنا درست العلاقات الدولية وخاصة في الشرق الأوسط فهو سيؤمن لي عملاً في السفارة الأمريكية في مصر ؛ لقد أراد أن أذهب فيما بعد إلى هناك لأستخدم مركزي في ذلك البلد لأتكلم إلى النساء المسلمات ولأشجع حركة حقوق المرأة الناشئة .

حسبت أنها فكرة عظيمة فقد كنت أشاهد النساء المسلمات على شاشة التلفزيون ، وأدركت أنهن مجموعة مضطهدة ضعيفة فأردت أن أخرجهن إلى نور حرية القرن العشرين » .

هذا مقطع من قصة إسلام هذه السيدة الأمريكية يستطيع من أراد أن يقرأ القصة كاملة في ص (٦٠) وما بعدها من كتاب « كيف أسلمت » الذي ترجمته السيدة هالة صلاح الدين اللولو ، وتوزعه مكتبة دار الفكر بدمشق ، كما يستطيع أن يقرأ الأصل بلغته الأصلية

على الانترنيت في العنوان المذكور في أسفل ص (٦١) من الكتاب المذكور . وهو كتاب جدير أن يقرأه الدعاة والداعيات .

لقد أرادوا من الأسرة المسلمة التي قامت على السكن والمودّة والرحمة أن تكون كما هي عندهم شركة بين اثنين تربط بينهما مصلحة أو منفعة ! وقد كان الاثنان عندهم رجلاً وامرأة ، أما الآن فمؤتمراتهم تطالب بإقرار الزواج المثليّ ، ليصحّ له برعاية القانون أن تكون الأسرة من رجل ورجل ، أو من امرأة وامرأة ، وقد أقرّ هذا في بعض دولهم ! .

لقد ساروا خَطوةً خَطوةً ، أخرجوا المرأة للعمل فخلا مكانها في البيت ، واحتاج الأطفال إلى من يرعاهم فجاءت الدولة . . وأخرجوا المسنّين من البيت إلى دور المسنّين أو مآوي العجزة ، فقطعوا ما بين الأجيال وتمّت لهم عملية (القولبة) ليكون المواطن عبداً للدولة لا يصلح إلا ليؤمر فينفّذ !! وكانت النتيجة فيما رأينا حين انتقل ذلك إلى البلاد العربية وشرعت الدولة تستولي على كل شيء ، وتهيمن على كل تجمّع حزبي أو نقابي أو تعليمي أو ديني ، ومدّت سلطتها إلى

المدرسة وإلى المسجد ثم إلى الأسرة ليكون كل عمل اجتماعي تحت سيطرة السياسيين الذين اتسعت سلطاتهم وتضخمت دائرة أعمالهم وقلّ إنتاجهم وضعف أداؤهم .

وإن ما تقوم به المؤسسات العربية وأحياناً الإسلامية ليس أكثر من تبعيّة وتقليد لما عند الغربيين ، وقد تقوم في بعض الأحيان بردود فعل سلبية أو إيجابية ، ولكنها عشوائية أو ارتجالية على حين أن في الدول الغربية مراكز بحوث ودراسات اجتماعية ونفسية وسياسية واقتصادية دأبت منذ عقود على البحث والتحليل للوصول إلى أفضل السبل للسيطرة على العالم الإسلامي من الداخل ؛ إنهم لا يريدون استعماراً عسكرياً يكلّفهم الأموال ويلفت النظر بمظهره ، وهم لا يقدمون على ذلك إلاّ عند اضطرارهم إليه . ولكنهم يريدون مسلمين يعيشون حياة غربيّة بعاداتها ، ثم بتقاليدها ثم بأفكارها وثقافتها ، وكانت طريقتهم إلى ذلك أن يفرضوا على بلاد العرب والمسلمين أنظمة تسيطر بدلاً منهم على كل ما في المجتمع من تجمعات وجمعيات وأحزاب ونقابات وصحافة وإعلام ، وليست الأنظمة حرّة في أن

تطبق أو لا تطبق أو أن تنفذ ، لأنها عضو في هيئة الأمم المتحدة ، وهي جمعية أكثر أعضائها أعداء للعرب وللإسلام وللمسلمين وقراراتها ملزمة لأعضائها ، وإذا شذّ عضو أو تمرّد وكان عربياً أو مسلماً تداعت هيئة الأمم كلها عليه وأطبق مجلس الأمن بالقوة عليه !! ألا يعني ذلك أن الذي يحكم بلادنا نحن العرب والمسلمين الذين نفخر بأننا أعضاء في هيئة الأمم إنما هو الحكومة الخفيّة التي تحكم هيئة الأمم ، بل الحكومة التي لم تعد خفيّةً بعد أن انكشف للعالم أجمعَ أن الولايات المتحدة الأمريكية تتحكّم في هيئة الأمم التي أقامتها على أرضها وملأت إدارتها بموظفيها وموظفاتها ، وتقوم بالتجسس على وفود الأمم وعلى اجتماعاتهم فيها . . وأن هذه الإدارة الأمريكية نفسها تتحكم فيها هيئة من اليهود الصهاينة ومن المسيحيين الصهاينة أيضاً ، والذين يذيعون في كل مناسبة « اذكروا أنَّ المسيح كان إسرائيلياً » !

أليس معنى ذلك أن في العالم حكومة فوق حكوماته المحليّة أو القطرية . وهل يجوز أن يبايع الشعب حاكماً وأن ينتخبه على أساس دستوره الوطني ، فيلتزم حاكمه

بالخضوع وإخضاع شعبه لقرارات تتخذها جمعية أكثريتها من أعدائه وأعداء شعبه ، ألم تثبت الأحداث في هذه السنوات الأخيرة حرمة الانتساب شرعاً إلى هيئة الأمم المتحدة ؟! نترك الجواب للذين يتصدّون للإفتاء في الصغائر وفي العبادات ويغفلون عن إصدارها في الكبائر وفي مصير الأمة .

إن المخطط الآن هو الهيمنة على مؤسسة (الأسرة) بغية خلخلة نظامها الاجتماعي والثقافي الإسلامي ، وسعياً للوصول إلى التغيير في البنى التحتيّة للمجتمع ، وهو الغاية القصوى لكل تغيير سياسي أو اقتصادي أو اجتماعي . . وهذا فيما أرى يتطلب من الدعاة الإسلاميين أن يسيروا على عكسه ليبدأ التغيير الثقافي الإسلامي من البنية التحتية صعوداً إلى رأس الهرم ، أي أن نبدأ من الخلية الأولى وهي الأسرة بمن تضم من المرأة والأطفال والشباب والفتيات لينطلق الإصلاح منها إلى المجتمع ، ولتصبح الأسر بمجموعها والأفراد بجمهورهم مجتمعاً مسلماً في حياته وعلاقته فيما بين أفراده ، ولتكون لديه المناعة الإسلامية الفكرية والأخلاقية والسلوكية ضدّ أي فساد أو إفساد . وسيؤدي

ذلك بدوره إلى التغيير السياسي .

ونحن نقول ذلك لأنه لم يعد لنا أمل في المدارس والجامعات التي كان ينبغي لو صحّت وسلمت أن تكون هي رائدة التغيير ، ولكنها استحكم ربطها بمسيرة القطيع ولم تعد تملك من أمر نفسها شيئاً . .

ونحن نرى اليوم هجمةً جديدة ناشطة من هجمات التغريب والتخريب ، وهي هجمة تتجه نحو ما نعتقد أنه آخر حصوننا والذي إذا نجا نجونا كلُّنا ، وإذا سقط ـ لا سمح الله ـ سقطت الأمة ، ألا وهو الأسرة وعمادها المرأة . وهو الحصن الذي جاؤوا اليوم لغزوه بخبراء منهم ونساءٍ منا ، وبعشرات الأسماء والشعارات ومئات المرتزقة والمستأجرين وبملايين الدولارات ، وباستقواء بالحكام والحاكمات والمسؤولين والمسؤولات ، ممن يعرف الحقيقة ومن لا يعرف ، لذلك كان على الجميع أن يعرف أن الأسرةَ هي وحدها الآن القادرة على غرس القيم الأخلاقية والمثل الإسلامية التي تبني مجتمعاً سليم العقيدة سويّ السلوك . بل لم يبق من مؤسساتنا غيرها بعد أن احتلت فاختلت جميع المؤسسات الاجتماعية الأخرى بما فيها المساجد وأماكن العبادة .

ولابدّ حتى تؤتي جهودنا ثمارها المرجوة من أن نسير جميعاً في خطة واحدة ، وأن تكون خطواتنا متفقة، فلا يسير كلٌّ على هواه . . وإذا اختلفت الطرق والمناهج فلا يجوز اختلاف الأهداف والغايات القريبة والبعيدة ، ولنذكر أن يد الله مع الجماعة ، ولنذكر : واستعينوا على قضاء حوائجكم بالكتمان ، ولنتوكل على الله فهو قصدنا وهو حسبنا ولنعمل بجدٍّ بإخلاص ﴿ وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ [التوبة : ١٠٥] .

وهذه أمور ينبغي العمل على تحقيقها وإن اختلفت فيما بيننا طرق التحقيق ، أو اختلفت أوليّات الترتيب :

١ ـ غرس القيم الأخلاقية والمثل الإسلامية منذ الصغر ، سواء ما اتصل منها بالقول والعمل ، نقوم بها ونعيشها أمام أولادنا ، ونطلب إليهم أن يقوموا بها ؛ فإنه ممارستها تجعلها سلوكية عندهم ، فلا يجدون في الإتيان بها كلفة أو مشقة .

٢ ـ إن لسان الحال في كل بيئة وفي حياة كل داعية أبلغ من لسان المقال ؛ فليكن سلوك الوالدين أمام أولادهم أصدق من ألسنتهم وأبلغ من نصائحهم

ووعظهم . ليكن الوالدان القدوة الصادقة لما يدعوان أولادهما إليه ، وقد قال رسول الله ﷺ : « ما نَحَلَ والِدٌ ولده أفضل من خُلُقٍ حَسَنٍ » وقال : « تأديب الوالدِ ولده خيرٌ له من صدقة بصاع » . وإنه ﷺ لم يكتف بالنصح والإرشاد ولم يكتف بتحفيظ القرآن بل كان هو ﷺ قرآناً يمشي فكان صحابته مثله . لم يطيلوا المواعظ والخطب ولكنهم عاشوا حياة كل خطوة منها كانت إسلاماً يمشي على الأرض . ولذلك ينبغي عدم الاكتفاء ببرامج الحفظ والتلاوة بل لابدّ من البدء بتعويد الطفل الحياة الإسلامية ليعيشها عملاً وسلوكاً ، وليكون القرآن صفة حياته لا مجرد لغة على لسانه .

٣ ـ احترام الرموز والشعارات الإسلامية وتعظيم شعائر الله في كل مناسبة .

٤ ـ احترام اللغة العربية ، وتأكيد النظر إليها بحب واحترام ، ولفت النظر إلى ضرورة سلامة النطق وصواب الكلمة ، لأن العربية لغة كتاب الله والطريق إلى تلاوته وفهمه ، ولأنها رابطة بيننا وبين قومنا الماضين في كتبهم وفي كل ما نقرأ عنهم ، وقومنا المعاصرين الذين يتكلمون ويكتبون بها .

٥ ـ تربية الفرد على عدم الانغلاق والانعزال ليكون منفتحاً على بيئته ثم على زملائه وأبناء مجتمعه مع اعتداده بشخصيته وعقيدته وإيمانه أنه هو القدوة من بينهم لأنه يعتقد أنه يمثل المنهج الإلهي وليس إمّعة تابعاً لغيره ، وأنه ليس عليه أبداً أن يقلّد الناس ولو كثروا » ﴿ وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ [الأنعام : ١١٦] .

٦ ـ التزام السلوك الإسلامي وتأكيد التمسّك به في كل البيئات والمناسبات .

٧ ـ تحقيقاً للحياة الاجتماعية المنفتحة للطفل أو المراهق ينبغي إيجاد الصلات الحميمة بين الأسر المتشابهة في العقيدة والسلوك ، ليجد الناشىء رفاقاً له لا يختلفون عنه فكراً وسلوكاً فيأنس بعضهم ببعض ويشدّ بعضهم أزر بعض . ولتتعاون هذه الأسر على ما يعترضها من مشكلات تربوية أو اجتماعية .

٨ ـ السعي إلى جعل ثقافة الناشىء مرآة لثقافة الأمة التي ينتسب إليها ، وجعل السلوك الفردي صورة للسلوك الاجتماعي الملتزم بالإسلام .

٩ ـ الوصول في الاعتدادبالنفس عقيدةً وسلوكاً إلى درجة تجعل الناشيء لا يكترث بأجهزة الضغط الاجتماعي ووسائلها الرسمية والحكومية والحزبية والإعلامية مهما زادت ؛ لأنها تريد تغيير عقلية الجمهور وتبديل ثقافة المجتمع فإذا أنتجت الأسر المسلمة أفراداً بالصفات التي ذكرناها كان لهم من لغتهم وعقيدتهم وأخلاقهم وسلوكهم مناعة لا يخترقها الإعلام .

إننا نريد جيلاً مسلماً لا يرى إلا ما يريد ، ولا يسمع إلا ما يريد ، وإذا سمع فلا يصدّق إلا ما يريد . . إنه الجيل الذي يُعرض عن كل ما لا يتفق مع إسلامه الذي يسير نحوه وإليه بسكينة وثقة واطمئنان .

١٠ ـ عدم الاهتمام بما يقوله المربّون غير الإسلاميين والنظر إليه بعين الحذر وتمحيصه قبل تصديقه ، وعدم الأخذ به قبل تصديقه والتثبت من صحّته ؛ فلطالما حذرونا من سياسة الجزاء والعقاب . . وإذا تركنا كل ما قاله المربّون قديماً ، وما قاله المربّون حديثاً ، ثم نظرنا إلى آثار كل من الفريقين في الجيل الذي ربّوه فماذا نجد ؟!! الواقع هو الجواب .

ثم أليس في وصايا نبيّنا ﷺ قوله : علّموا أولادكم . . ، مروهم ، ما الفرق بين التعليمين ؟ علّموهم السباحة والرماية وركوب الخيل . مروهم بالصلاة . . ؟ التوجيه اليوم نحو تعليمهم لعب الكرة وإضاعة وقت الأمة كلها بالفرجة على اللعب وهو وقت إنتاج في المدارس والجامعات والمصانع والمزارع . . !! لا تهتم بأقوال مربّيهم فهم مبرمَجون أو موجَّهون ﴿ فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَوٰةَ الدُّنْيَا * ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ الْعِلْمِ ﴾ [النجم : ٢٩ ، ٣٠] .

١١ ـ يحسن أن يبقى الوالدان على رقابة دائمة للأولاد خارج البيت ، وأن يكون ذلك بحكمة ولطف ليكونا على معرفة تامة بأصدقاء أولادهم وسلوكهم ، وليوجّهاهم نحو صداقة أمثالهم « فالمرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل » كما قال الرسول ﷺ . ولقد حذّر القرآن من مصادقة الفاسدين ﴿ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴾ [الفرقان : ٢٨] .

وأعداء الإسلام اليوم يريدون الاختلاط بين الجنسين ، ويريدون أن يعلّم الرفيق رفيقته أو صديقته ، وأن يعلّم النظير نظيره ، والقرين قرينه ، ولا شك أن

المقصود من ذلك أن تزول الكلفة أو الحرج الذي يجده الشاب أو الفتاة فيما لا يُتحدث به مع الوالدين ، فليكن هذا الحديث بين القرينين . وغير خاف مضمون بل مضامين تلك الأحاديث وإلى أين ينتهي بين الأقران ! وليست ببعيدة عنا وصية ابن سينا « يجب أن يكون مع الصبيّ في مكتبه صِبْيَة ـ أي أقران وأصدقاء في مثل سنّه ـ حسنة آدابهم مرضيّة عاداتهم ؛ لأن الصبيّ عن الصبي ألقن » . أي أكثر قابليّة للتلقين . وهم اليوم يريدون أن يجعلوا مع أبنائنا وبناتنا خلطاء فاسدة أخلاقهم مرذولة عاداتهم ليعلّم النظير نظيره الفساد ، ويعلم القرين قرينه أساليب الفجور .

١٢ ـ ينبغي أن تكون العناية أول الأمر لتربية الولد أو البنت البكر ؛ لأنه سيكون قدوة لإخوته وأباً لإخوته بعد أبيهم وأماً بعد أمهم . وسيكونان أكبر عون لوالديهما على تربية إخوتهم ، كما سيكونان القدوة في التصرّف والسلوك ؛ لأن الصغير مولع بتقليد أخيه الكبير في كل ما يقول ويفعل . فإذا تعبت في تربية البكر ارتحت في تربية الآخرين .

١٣ ـ لا يجوز أن تكون توجيهاتنا التربوية متحجرة على الثوابت الخلقية والقيم الأصيلة ، بعيدةً عن روح العصر ومواكبة الحياة وما جدّ فيها . علينا أن نجعل التربية استمراراً للماضي واتصالاً بالحاضر ، فالجديد والحداثة ليست انقطاعاً عن الماضي ولا تنكّراً له ، إن الشجرة التي تقطع صلتها بجذورها لابدّ أن تموت وأن تجتث مهما بهرنا مظهرها وخدعتنا أزهارها وألوانها ، وكذلك إذا لم تتأقلم أو تتطبع الغرسة بالجوّ الذي تعيش فيه وبالبيئة التي تحيا فيها فلن تقوى على البقاء ولن تلبس ثوب المناعة والصمود .

وبعد فإن من واجبنا أخيراً ، وقد رأينا الكثير وسمعنا الكثير من جهات مختلفة وهيئات متعددة ألاّ نكتم إخوتنا الدعاة وأخواتنا الداعيات أمرين اثنين :

أما الأول فهو أن الإسلام يجعل الولاء أولاً وأخيراً لله وحده ، ويجعل العصبية لله وحده ، فلله يغضب المسلم وله سبحانه يرضى ، وفيه يحبّ وفيه يكره ، ومن أجله يجاهد وفي سبيله يموت . . ولا ولاء لغير الله ، فكل شيء هالك إلا وجهه ، فلا يكن غير وجهه وجهة لك « من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ،

ومن كان يعبد الله فإن الله حيّ لا يموت » . وشرط الإيمان الصادق أن يكون الله ورسوله أحب إليك مما سواهما ، وأن يكون الرسول أحب إليك من مالك ونفسك وولدك ، هكذا علم نبيّنا ﷺ صاحبه ابن الخطاب .

ولقد رأيت من الدعاة من يحذّر طلابه من حضور دروس غيره ! ولقد أمر بعضهم بمقاطعة من يحضر درس فلان أو جلسة فلان . وسمعت أن داعية منعت واحدة من طالباتها من الزواج من شاب خطبها لأن أخواته كلهن من جماعة فلانة !! . .

إن الإسلام واحد ، وإن مناهج الدعاة مختلفة وليس من حق داع أو داعية أن يحكم على منهجه وحده بالصحة وعلى منهج غيره بالخطأ . . . إن للدعاة مناهجهم واجتهاداتهم ، فما دامت العقيدة سليمة والغرض واحداً فلا يجوز أن يكون هذا الجفاء وهذه الحساسية أشدّ هيمنة على نفس المؤمن أو المؤمنة من هيمنة الإسلام وروحه وتربيته وأخلاقه . والداعية ليس زعيماً سياسياً يدعو لنفسه أو لحزبه ، فإذا كان يدعو لله ولشرع الله فكل من دعا بدعوته فهو مثله ، ولو اختلفت

طريقته على أن يكون ذلك في إطار من يعتقد الداعية بإخلاصهم وصدقهم .

وأما الأمر الثاني فهو طريقة العرض وأسلوب الخطاب . إذ لكل عصر طريقة ولكل علم أسلوب ، ولكل طبقة من الناس مستوى عقلي تجب مراعاته . ولابدّ أن يتنبه الدعاة أن تلخيص موضوع من كتاب وعظ قديم لا يصحّ أن يقدّم بطريقة صاحبه وأسلوبه ، وأنه قد يرد فيه ما لا يلائم أهل هذا العصر أو عقلية جيل اليوم . . لابد أن نعي ما حولنا وأن نعرف ثقافة عصرنا ، والأساليبَ التي يخاطب بها الإعلام أبناءنا والطرق التي يشدّ بها الغرب انتباه شبابنا لنقدّم دعوتنا في إطار من ثقافة العصر إذْ إن لكل زمان ثقافة ، وكذلك لكل ثقافة زمان . وثقافة الزمان هذه كثيراً ما تنقص الدعاة .

فإذا أدركنا هذين الأمرين ـ وهما عامّان لكل داع وداعية ـ انتقلنا إلى أختنا الداعية بل إلى أختنا المسلمة التي نراها داعية في بيتها إن كانت عزبة ، ومسؤولة عن رعيتها إذا كانت زوجة لنقول لها : احذري أن يؤتى الإسلام من قِبَلك ؛ فأنت الآن آخر دروع الأمة وآخر حصون الإسلام وأنت في بيتك أقوى من الدول ومن

الحكومات ومن الأحزاب ومن الجيوش لأنك وحدك اللصيقة بأهل بيتك وأطفالك ، ولأنك وحدك التي تملك مصنع الحب والحنان والتي تصنع في قوالب الأمومة أصلح الرجال وأقوى الأبطال ، فلا يؤتَينَّ الإسلام من قِبَلك ، والله المستعان .

كلمة أخيرة :

المؤمن الصادق الإيمان لا يعرف اليأس ولا القنوط « ومن يقنط من رحمة الله » .

إنه في أشدّ حالات الخطر ، وفي أقسى المحن يقول : « إن الله معنا » .

إنه متفائل يملأ الأمل نفسه واثق أن الله لا يخلف الميعاد ولن يخلف وعده .

وإن العلم أثبت أن التجربة إذا كرّرت في الشروط التي أحاطت بها أول مرة فلابدّ أن تثمر النتيجة التي أثمرتها أول مرة . . وفي تجربتنا :

الله هو الناصر « وما النصر إلا من عند الله » وهو حيّ قيّوم ، وهو الأول بلا بداية والآخر بلا نهاية ، فهو

هو سبحانه وتعالى .

ووحيه ما زال كما هو في كتابه الذي لا يأتيه الباطل ، والإنسان الذي خلقه سبحانه في عصر النبوة هو هو لم يتغيّر شيء في خَلقه .

والنفس الإنسانية هي التي تتغير وتختلف ، تقوى وتضعف ، تتّقي وتفجر ، تصدق وتكذب ، تثبت وتنكص و﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾ [الرعد : ١١] .

وما أزاغ الله بصائر الناس إلا حين زاغت نفوسهم ﴿ فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ ﴾ [الصف : ٥] .

فإذا بدأ الإنسان منا بنفسه وعاهد ربه على الصدق في العمل فآمن بالله ثم استقام ، فدعا إلى الله وعمل صالحاً ثم وسّع دائرة دعوته ، وجعل من كل من دعاه داعيةً مثله ليكثر سواد المسلمين الصادقين ولم يجعل دعوته في دائرة هو قطبها بل حثّ كلاً من الذين دعاهم على أن يكونوا دعاة عاملين لا تهمّهم ذواتهم ولا أشخاصهم ولا رضا الناس عنهم ، وإنما يهمّهم أن يستعملهم الله فيما يرضيه وأن يكونوا من عباده

المخلصين فلابدّ أن يتحقق وعد الله ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴾ [غافر : ٥١] .

﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [يوسف : ١٠٨] .